الشعر المرسل والشعر الحر

للأستاذ حسين الغنام

قرأت قصيدة الأستاذ الفاضل على أحمد باكثير المنشورة فى عدد مضى من الرسالة ، والتى أسماها شعرا مرسلا حراً ...

وقد جمع الأستاذ الفاضل بهذه التسمية بين الشعر المرسل ، والشعر الحر ، وهما ضربان مختلفان فى الشعر الأوربى ، ويسمى الأول فى الانجليزية Blank Verse ، والثانى Free Verse . ولكن الترجمة الصحيحة لهما هى : نظم مرسل ، ونظم حر ... ومعنى هذا أنه يجب أن تتوفر الموسيقية فى هذين الضربين من الشعر أو النظم !

ولا يعنى الأستاذ باكثير جمعه بين الضربين فى قصيدة واحدة — كما سماها مجازاً — أن يهمل الموسيقية أو العروض ، وإن لم يتقيد أو يلتزم بحرا واحدا ...

فلقد أدهشنى خلو ما سماها قصيدة من أى موسيقية ، وحاولت قراءتها وتنغيمها على كل الوجوه فلم أفلح .

فهذه إذن ليست قصيدة بالمعنى المفهوم لخلوها من الموسيقية ، وهى ليست شعرا مرسلا ، وليست شعرا حرا . والخطأ الثانى هو جمعه بين الضربين فى قطعة واحدة .

أما أصدق وصف لكلمة الأستاذ باكثير فهو أن يسميها نثرا مشعّرا ، أو شعراً منثوراً ، كما يقولون . أما أنها نظم Verse فهذا خطأ .

وإذا أراد نموذجا من الشعر فإنى أرجو من أستاذنا الزيات أن يتفضل ببشر هذا النموذج لى ، عن الشاعر الأمريكى الفحل لونجفلو ، وهى السطور الأولى من ملحمته السماة (أغنية هياواثا) ، وقد نظمها صاحبها شعراً حراً ، ولكنى ترجمتها شعراً مرسلا منذ بضع سنوات .

وإنك لواجد فى هذا النظم موسيقية ، لأنها من أول الشروط فيه . وقد أخطأ الشعراء فى عدم فهم هذا الضرب ، فكان ما ينظمون منه — حتى مع التزامهم الموسيقا — متنافراً فى البحور غير منسجمة مع بعضها . ومن أولى خصائص هذا الضرب موسيقيته أولا ، ثم ائتلاف هذه الموسيقا فى بحور متقاربة ليجعل منها تجانساً وتناسقاً فنياً Harmony .

وإليك الأبيات الأولى من ملحمة لونجفلو ، كما ترجمتها شعراً مرسلا من أوزان متقاربة لا تحس فيها بتنافر أو اصطدام ، وهذه أولى خصائص ذلك النظم :

(نوادرها) الفنى العظيم

— ١ —

لعلك سائلى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
ومن أى المصادر جئت بالأخبار ترويها
وإن لها لرائحة من الغابات منبعثه
وإن بها ندى الأعشاب فى المرجات منبثه
ندى رطب إن التمعا
بضوء الشمس أو سطعا
وإن لها دخاناً جاء من الأكواخ مرتفعا
وإن لها خرير الماء فى الأنهار مندفعا

— ٢ —

فإما قلت لى من أين هاتيك الأقاصيص ؟
فهاك جواب أنبائى من الملموس أحكيها :
من الغابات والروضات جئت بكل أخبارى
وليس السامع المروى مثل الناظر السارى
فمن غابٍ ومن سهل
ومن نهر ومن تلّ
ومن أرض يعيش بها قبائل أهل (أوجيبى)
و (داكوتاة) فى أرض حلت للشاة والذيب
ومن جبل ومستنقع
وأرض ثم لم تزرع

ومنبسط من الأرض
هنالك كل ما فيه — على بداوته — يُرضى
هنالك (مالكُ المحزونُ) يحيا عيشة الزهد
(شَهْتَجاهُ) كما يدعوه بعض قبائل الهند
يعيش هناك بقتات الثمار الفجّ والقصبا
فلا عنباً وفاكهة ولا نبتاً ولا حبا
ومن شفتَيْ (نواداها)
أغان ... كان غناها
وأعظم بالذى غنى
معنيهم إذا اقتنا
سأرويها كما غنى
فما زال الصدى المسحور حسناً يطّبي سمعي
ويعذُب وقعُه فيه — وما أحلاه من وقع !

— ٣ —

وإما عدتَ تسألني سؤالا عن « نواداها »
ومن أى الموارد جاء بالألحان فتانه
فألقاها وغناها
فرد الطير ولهانه
أغان من بداوات ولكن لحنُها يُصبي
فمن أطيار غابات تلوذ بصوتها العذب
على أعشاشها العلياء فى أطراف أشجار
وحسبك لحن أطيار
ومن أكواخ « كلب الماء » تحت الماء مختفياً
ومن آثار ثيران أوابد — كان مقتفيا
وعض النسر فوق شواهق الجلمود ممتنعاً
وغير النسر لم يمسسه مهما طال وارتفعا

— ٤ —

وفى واد جميل ساكن رقت حواشيه
وفوق الجدول الساجى أقام على حوافيه
« نواداها » بقرب القرية الهندية الصغرى
« نواداها » الذى غنى
وعنها لقن الفنا
وفوق المرج مخضرّا
وبين مزارع الحنطه
فتحسب ذلك البُرّا
تلألأ — عسجداً حرّا
وفوق الأرض منبسطه
وعن قرب من الغيطان قامت غابة كبرى
وأحراج الصنوبر وهى كالأطيار غريده
تراها ثم ممدوده
وعند الصيف تبصرها إذا ما رُدت خضراء
وفى وقت الشتاء تحول من خضراء — بيضاء
وفى الحالين تبصرها
إذا ما رحت تخبرها
تهد قلبها آناً وآناً بالهوى غنى
وما أحلاه إن غنى، وأوجعه إذا أنّا
وهذا الجدول الرقراق فى الوادى قد انسابا
وفى جنباته سالا
وراح يثنيه سلسالا
وعاد جداولا كُثرا
تشق السهل والأعشاب والأحراج والغابا
تراها فى الربيع تخر بالأمواج صفّاقه
وتبصرها إذا ما كنت يوماً تقتفى الأثرا
فتافيها أوان الصيف إذ تنساب رقراقه
بأشجار من الحور الجميل مهفهفاً قاما
وإبان الخريف ترى الضباب هناك قد غاما
وإبان الشتاء يند خيط أسود داكن
يفرّع منه — قاتمةً — خيوطاً غُبّراً دكنا
يجانب كل ذلك عاش « ناواداه » — من غنى
بوادٍ أخضر ساكن

— ٥ —

وغنى عن « هياواثا »

وغنى من « هياواثا »

أغانى عن ولادته العجيبة ثم تكوينه

وكيف صلاته قامت وكيف صيامه كانا ؟

وكيف حياته كانت من الآلام أدهانا

وكم كدح الشقى لكى يكون لأهله قدوه

ورائدهم إلى النجح

فإن النجح فى الكدح

— ٦ —

ألا يا من تحبون الطبيعة وهى مزدانه

وشمس المرج ساطعة وظل الغاب ممدودا

وصوت الريح فى الأغصان تخطر وهى نشوانه

وهمس الريح مردودا

إذا حفت على الشجر

ألا يا من تهيمون بشؤبوب من المطر

يسح كدافق النهر

وعاصفة من الثلج

على الآكام والمرج

ودفع الماء فى الأنهار ينفذ من حواجزها

وصوت الرعد فى فنن الجبال وفى مفاوزها

إذا أصداؤهن عوت

تحال نسورها دوت

ألوفاً ما لها عدُّ

وحسبك أنه رعد

تعالوا واسمعوا منى أحدثكم أحاديثا

وأغنية أغنيها كما غنى « هياوثا ! »

عبد الغنام

مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية

يشترك فيها أعلام الباحثين فى الفلسفة والاجتماع

تستأنف النهضة العلمية فى الشرق وتجعل مسائل الفلسفة فى متناول الجميع ضرورية لكل مثقف وباحث

ظهر منها حديثاً — الكتاب الخامس

الملامتية والصوفية وأهل الفتوة

الدكتور أبو العلا عفيفى

أستاذ الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول

وسيظهر قريباً الكتاب السادس

التصوف وفريد الدين العطار

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

ثمن النسخة من كل كتاب ١٠ قرشاً صاغا عدا البريد

يطلب من دار إحياء الكتب العربية لأصحابها

عيسى البابى الحلبى وشركاه بمصر

ومن سوريا من المكتبة السومية بدمشق

ومن فلسطين من مكتبة الطاهر إخوان بافا